سنة ١٨٧٠	ثمن الاوقية ٦٠ بنساً	١٩١٣	٢٧ ½
» ١٨٨٠	» » ٥٢ »	١٩١٥	٢٣ ½
» ١٨٩٠	» » ٤١ »	١٩١١	٣١ ½
» ١٩٠٠	» » ٢٨ »	١٩١٧	٤٠ ⅜
» ١٩١٠	» » ٢٥ »	١٩١٨	٤٧ ½

العرب واستكشاف اميركا

وهو بحث عن محاولة العرب

استكشاف اميركا للمرة الثانية

فطر الله العرب على الولوع بالسفر في البر وبرأهم على الشغف بتجشم الخطر في البحر. لذلك تراهم سوقين منذ نشأتهم الاولى الى استظاء متون المطايا يهيمون بها في جواز الفلاة لاكتشاف المجاهل وارتياد الآثار والى ركوب الجواري المنشآت كالاعلام لاستقراء ما وراء البحار. حتى اذا جاء الاسلام ودانت به مصر وظهرت كلمتهُ في شمالي افريقية وارتفعت رايتهُ على ارض الاندلس انفتحت الطريق امام روادهم وسفارهم. فاخذوا يجوسون خلال الديار ويتعرفون المآثر والآثار ويدوّنون ما وقفوا عليهِ من غرائب المعلومات وما وصل اليهم من طرائف الاخبار. وما زالوا يتقاصرون مرحلة فرحلة حتى انتهت بهم غاشية المطاف على ساحل بعيد الغور تتقاذف عليهِ الامواج كأنها الجبال المتلاطمة تتوالى فوقها ظلمات الضباب المتكاثفة فوقفوا مذعورين مروّعين امام هذا البحر الزخار المخضمّ المخيف وقالوا هذه نهاية العالم وهذا بحر الظلمات! هكذا سموا المحيط الذي وصفوهُ بالبحر الاخضر لظلمتهِ وسوادهِ وهو الذي نعرفهُ نحن الآن باسم المحيط الاطلنطي

غير ان ما جبلوا عليهِ من حب التصنع كان مع ذلك يحدوهم الى التفكير فيما عساهُ يكون وراء ذلك البحر المحيط والى محادثة النفس والسير بها في تيار

الهواجس بأمل الوصول الى عبره الآخر والوقوف على شاطئه الثاني الذي كان يجول بخواطرهم انهُ موجود بلا شك في الجهة المقابلة لهم وراء تلك الامواج المتلاطمة

نعم ان النورمانديين قد سبقوا العرب الى الاضطلاع بهذا الوسواس اولئك النورمانديون الذين اغاروا على بلاد الاندلس وسماهم العرب بالمجوس. فقد حاولوا اجتياز المحيط قبل العرب بقرنين من الزمان دون أن يفلحوا فيما حاولوهُ ولكنهم كان لهم فضل السبق على كل حال . ثم جاء العرب من بعدهم فحاولوا ذلك على ما هو مشهور ومعلوم. وكان ذلك فيما قيل سنة ٥٨٠ هـ (١٠٨٤ م) وهي السنة التي استردّ البرتقاليون فيها حاضرتهم لشبونة وطردوا العرب منها طرداً نهائياً . فلقد كان بها عائلة من شباب المسلمين كلهم ابناء عم قد استهواهم هذا الخطر وكثيراً ما استهوى الخطر نفوس الشباب . فهابت بهم همتهم الى ركوب هذا البحر فقذفوا بانفسهم فيهِ غير مبالين بما هم مقدمون عليهِ اذ كانوا يطمحون الى اكتشاف ما وراءهُ من البرور الجديدة . ولكن امواج البحر ابتلعتهم فراحوا ضحية العزيمة والاقدام مثل من راح قبلهم ومن راح وروح بعدهم من كبار النفوس وانطوى على آمالهم الخِضَم سجل النسيان . فقد طمست يد الزمان اخبارهم وتفاصيل احوالهم ولم يصل الى علمنا سوى الخبر القذف الذي رواهُ لنا عنهم الشريف الادريسي رحمهُ الله . فقد اشار الى رحلتهم التي لم تأت بنتيجة ودوّنها لنا وهو في مدينة بلرم عاصمة صقلية حيث الف كتابهُ الشهير الموسوم « بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي صنعهُ برسم ملكها النورمانديّ « رجار » ولذلك سماهُ كثير من كتاب العرب مثل الصفدي وابن خلدون وغيرهما بكتاب رجار واما ابن فضل الله العمري فانهُ يسميهِ كتاب أجّار اخذاً عن التسمية الطليانية (Ruggiero) بعد حذف الراء من اوله . وقد سبق لنا شرح هذه الحادثة في محاضرة القيناها امام نادي المدارس العالية فلا محل للرجوع اليها هنا

مضى على هذه المحاولة قرن ونصف قرن من الزمان وما زالت نفوس المسلمين في مغارب الارض هائمة بالوقوف على ما وراء هذا البحر حتى لعب هذا الخاطر برأس أمير قطونخ بن ان المحاولة الثانية للوصول الى هذا الغرض . ولكن ذلك

كان بعيداً عن ربوع الاندلس الزاهرة وفي بلاد ينبت فيها التبر والنضار. ذلك ان سليطيناً من سليطينات غانة أخذ يفكر في هذا الامر وجعله هجّيراه وصار يهجس به ليله ونهاره حتى شغله عن كل امر سواه وملك نفسه ومشاعره فكان يحدث نفسه بانهُ لا بد ان يكون وراء هذه الامواج بر ور لا يستحيل على من يواصل السفر بطريق البحر ان يصل اليها. ثم ما لبث ان شرع في تحقيق هذا الغرض والسعي الى تحقيق هذا الغرض

وصل الينا هذا الخبر لا عن طريق بلوم بل عن طريق القاهرة وعلى يد رجل من ذرية الفاروق اعني به ابن فضل الله العمري

هذا وقد قال ابن خلدون ان اهل غانة اسلموا في اول الفتح وذكر ابو الفدا ان سلطان غانة ينتمي النسب الى الحسن بن علي عليهما السلام ومازال اهلها يجوبون الصحراء ويجيئون الى القاهرة في كل عام للذهاب الى حج بيت الله الحرام. ومن احدهم وهو سلطانهم منسى موسى (ومنسى معناها السلطان) علم ابن فضل الله العمري بما حاوله سلفهُ على سرير السلطنة من اجتياز البحر المحيط الى الشط الآخر. وقد نقل ابن فضل الله هذه البيانات عن امير حاجب والي القاهرة والقرافة الذي عينهُ سلطان مصر مهندساً لذلك السلطان منسى موسى اثناء اقامته بالقاهرة. وقال امير حاجب : سألت السلطان موسى كيف انتقلت اليه المملكة فقال نحن اهل بيت نتوارث الملك. وكان الذي قبلي لا يصدق ان البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره واحب الوقوف على هذا ولم يهيء مئين مراكب مملوءة من الرجال ومئات مملوءة من الذهب والماء والزاد ما يكفيهم سنين. وقال للمسافرين فيها : لا ترجعوا حتى تبلغوا نهاية او تنفد ازوادكم ومياهكم ! فساروا وطالت مدة غيبتهم لا يرجع منهم احد حتى مضت مدة طويلة. ثم عاد مركب [illegible] وسألناهم عن اخبارهم فقال تعم بها السلطان انا سرنا زماناً طويلا حتى عرض في لجة البحر وادٍ لهُ جرية قوية وكنت آخر تلك المراكب. فاما تلك المراكب فانها تقدمت فلما صارت الى ذلك المكان ما عادت ولا بانت ولا عرفنا ما جرى لها. واما انا فرجعت من مكاني ولم ادخل ذلك الوادي. قال فانكر عليه. قال ثم ان ذلك السلطان اعد اني

مركب ألفاً لهُ ولرجال استصحبهم معهُ وألفاً للزاد والماء ثم استخلفني وركب بمن معهُ في البحر المحيط وسافر فيهِ . وكان آخر العهد بهِ وبجميع من معهُ وانتقل لي الملك »

هذا وان ابن فضل الله العمري هو اول من دوّن لنا هذه البيانات في الجزء الثاني من موسوعاته المرسومة «مسالك الابصار في ممالك الامصار» (ص٥٠٣) وقد نقله القلقشندي (بعد ٦٥ سنة) في كتاب صبح الاعشى (ج ٥ ص ٢٩٥) مع بعض تغيير طفيف في العبارة دون ان يأتي بشرح جديد او ان يضيف لنا معلومات اخرى او يعلق عليهِ بشيء من عندهِ

اما السلطان الرحالة المشار اليهِ في تلك النبذة فهو (محمد تاو) واما التاريخ الذي دوّن فيهِ ابن فضل الله حكاية هذه الرحلة فهو سنة ٧٢٤ من الهجرة (١٣٢٤م) أي عند مرور السلطان منسى موسى بالقاهرة وقد كان لمقامهِ بها طنة ورنة وظل تحدث الناس عنهُ

واما الوادي الذي قال صاحب السفينة بانهُ رآهُ في وسط البحر فهو بلا شك التيار الذي يخترق المحيط الاطلنطي ويعرف عند الجغرافيين واهل البحر باسم تيار غانة Courant de Guinée قال عنهُ ملطبرون ما ترجمتهُ « ان التيارات البحرية التي تصدر عن خليج المكسيك تخترق المحيط الى ان تفترق عند شطوط افريقا فتندفع شمالاً على سواحل بلاد المغرب وتنقذف جنوباً على سيف بلاد غانة ولكنها قبل ان تصطدم في خليج غانة بالتيارات الآتية من الجنوب تصادف في سيرها رؤوساً بعدها واجزراً تجعل تدفقها مقروناً بالخراب والدمار »

لقد كان الدشن نصيب ذلك الملك فجارف الجسور كما كان نصيب فتيان لشبونة قبلهُ فلم يجن احد منهم سوى الهلاك . على ان مثل هذه المجهودات دليل على ان المسلمين في [illegible] كانوا يدركون منذ ذلك العهد الرجيح بوجود ارض جديدة وراء البحر الاطلنطي غير انهُ كان مكتوباً في ثنايا الاقدار ان يعود فخر اكتشاف اميركا الى كريستوف كولمبس الذي عثر عليها صدفة واتفاقاً وهو يبحث عن طريق الهند من جهة الغرب

احمد زكي